Ishel
International Seminar on Humanity, Education, and Language
Universitas Negeri Jakarta | Online Conference |
eISSN 3124-9396
Volume 2 , July 2026

The Discursive Formation of Cultural Memory: Transformation of Meaning and Cultural efficacy

Amal Abdullah Abdulrahman Al-Rashed
King Saud University
Email: amalrashed@ksu.edu.sa

Abstract

This paper reconsiders the relationship between language and cultural memory in light of the observation that foundational scholarship on cultural memory has largely focused on explaining the mechanisms of preservation and recollection, whereas the question of how social experiences acquire the capacity to become culturally effective frames of reference remains underexplored from a linguistic perspective. To address this question, the paper shifts the analytical focus from cultural memory as a repository of cultural experience to language-in-use as the site where social experience is discursively reconstructed and endowed with enduring cultural efficacy. The paper proceeds from the premise that social experience does not become an active component of cultural memory automatically. Rather, it undergoes a process of discursive formation through two principal modes: selection and reframing, before its cultural efficacy is tested through use in pragmatic and social contexts. Through this process, certain elements acquire the capacity to perform interpretive, symbolic, and normative functions within society, thereby becoming part of the cultural frame of reference that discourse continually invokes and recontextualizes in response to present circumstances. The paper argues that the elements of cultural memory should not be understood as fixed givens. Rather, they are culturally effective elements produced through ongoing discursive and social processes, characterized by relative stability rather than permanence. It further argues that the sustainability of cultural memory is achieved not merely through the preservation or recollection of its elements, but through the continued cultural efficacy of those elements in social use. In this sense, language, through discursive formation, constitutes one of the fundamental linguistic conditions for reconstructing cultural frames of reference and sustaining their presence within society. Accordingly, the paper proposes a linguistic perspective that broadens existing understandings of cultural memory by shifting the analytical focus from the mechanisms of preservation and recollection to the production and sustainability of cultural efficacy.

Keywords: Discursive Formation, Cultural Efficacy, Cultural Memory, Social Contexts, Culture, Society.

© 2026 Amal Abdullah Abdulrahman Al-Rashed. Published by Universitas Negeri Jakarta. This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

DOI: https://doi.org/10.21009/ishel.v2i1.70331

التشكيل الخطابي للذاكرة الثقافية: تحولات المعنى والفاعلية الثقافية

د. أمل عبدالله عبدالرحمن الراشد – جامعة الملك سعود

ملخص البحث:

تنطلق هذه الورقة من إعادة النظر في العلاقة بين اللغة والذاكرة الثقافية، بالنظر إلى أن غالبية المقاربات المؤسِسة لدراسات الذاكرة الثقافية انشغلت بتفسير آليات الحفظ والاستدعاء، في حين ظل السؤال المتعلق بالكيفية التي تكتسب بها الخبرات الاجتماعية قابلية التحول إلى مرجعيات ثقافية فاعلة بحاجة إلى تفسير لساني أكثر تحديدا. وتسعى الورقة في معالجة هذا السؤال، إلى نقل مركز الاهتمام من الذاكرة بوصفها مستودعا للخبرة الثقافية، إلى اللغة في الاستعمال بوصفها المجال الذي يعاد فيه تشكيل الخبرة الاجتماعية وإكسابها فاعلية ثقافية قابلة للاستمرار. وتتأسس الورقة على فرضية تقول إن الخبرة الاجتماعية لا تصبح عنصرا فاعلا في الذاكرة الثقافية بصورة تلقائية، إنما من خلال التشكيل الخطابي الذي يعيد بناء معانيها بكيفيتين رئيستين هما: الاختيار وإعادة التأطير، وذلك قبل اختبار فاعليتها في مجال الاستعمال داخل السياقات التداولية والاجتماعية. وفي هذا المسار، تكتسب بعض العناصر قدرة على أداء وظائف تفسيرية ورمزية ومعيارية داخل المجتمع، فتصبح جزءا من المرجعية الثقافية التي يستدعيها الخطاب ويعيد توظيفها في ضوء معطيات الحاضر. وخلصت الورقة إلى أن عناصر الذاكرة الثقافية ليست معطى ثابتا، إنما هي عناصر فاعلة ونتاج عمليات خطابية اجتماعية مستمرة، وتتصف بالاستقرار وليس الثبات. كما خلصت إلى أن استدامة الذاكرة الثقافية لا تتحقق بمجرد حفظ عناصرها أو إعادة استدعائها، وإنما باستمرار فاعلية العناصر الثقافية داخل الاستعمال الاجتماعي، مما يجعل اللغة، عبر التشكيل الخطابي، أحد الشروط اللسانية الأساسية لإعادة بناء المرجعيات الثقافية واستمرار حضورها في المجتمع. وبهذا تقترح الورقة منظورا لسانيا يوسع زاوية النظر إلى الذاكرة الثقافية، وينقلها من سؤال الحفظ والاستدعاء إلى سؤال إنتاج الفاعلية الثقافية واستدامتها.

eISSN 3124-9396
Volume 2 , July 2026

كلمات مفتاحية: التشكيل الخطابي – الفاعلية الثقافية – الذاكرة الثقافية – السياقات الاجتماعية – الثقافة – المجتمع.

1. مقدمة:

إن الذاكرة الثقافية لا تنشأ نتيجة لتراكم الخبرات الاجتماعية في ذاتها، ولا نتيجة تكرارها بغاية الحفظ فقط، فهي لا تستمر بأثر من حفظ الخبرات أو حتى تداولها عبر الزمن، إنما تنشأ قدرتها على الاستمرار إذا اكتسبت عناصرها الفاعلية الاجتماعية؛ أي داخل السياقات الاجتماعية المختلفة. ومن هنا أتت هذه الورقة، لتفترض أن اللغة ليست وسيطا ينقل الخبرة الاجتماعية إلى الذاكرة الثقافية فحسب، بل هي بدرجة أعلى تسهم من خلال التشكيل الخطابي في إعادة بناء الخبرة الاجتماعية بوصفها معنى ثقافيا قابلا للاستدعاء والتوظيف في سياقات اجتماعية متجددة ومتغيرة. والسؤال الذي تبنيه هذه الفرضية لا يتعلق بكيفية انتقال هذه الخبرة من الماضي إلى الحاضر، إنما يتعلق بالكيفية التي تكتسب بها بعض الخبرات دون غيرها، قدرة الاستمرار وقابليته بوصفها مرجعيات ثقافية فاعلة في المجتمع.

ولمناقشة هذه الفرضية، تُبنى محاور البحث للإجابة على مجموعة من التساؤلات هي:

- ما طبيعة العلاقة بين اللغة في الاستعمال والذاكرة الثقافية؟ وما المقاربات الأساسية المؤثرة في مفهوم الذاكرة الثقافية؟
- كيف تنتقل عناصر الخبرة الاجتماعية من كونها حدثا إلى مرجعية ثقافية تتصف بالاستقرار؟
- ما الكيفيات التي تحقق هذا الانتقال في إطار مسار التشكيل الخطابي، وكيف تُنجز في هذا الإطار ضمن الممارسة الاجتماعية؟
- كيف تُختبر فاعلية هذه العناصر داخل سياقات الاستعمال الاجتماعي، بعد مرورها بكيفيات التشكيل الخطابي؟
- ما المفهوم الذي تحمله الفاعلية الثقافية لعناصر الذاكرة الثقافية في إطارها التداولي الاجتماعي؟ وكيف يمكن للمرجعيات الثقافية في هذا الإطار أن تبني ذاكرة ثقافية مستدامة؟

DOI: https://doi.org/10.21009/ishel.v2i1.70331

2. علاقة الخبرة الاجتماعية بالمعنى الثقافي:

ما الخبرة الاجتماعية؟ وهل يمكن القول إنها معطى ثقافي خالص بالضرورة؟ تعد الخبرة الاجتماعية هي الإطار الذي تتشكل فيه المعارف والقيم والرموز والممارسات التي ينتجها المجتمع في السياقات التفاعلية في واقع المجتمع. فهل يمكن القول إن هذا التشكل كاف وحده ليجعل هذه الخبرة بالضرورة جزءا من الذاكرة الثقافية؟ في الواقع، إن الخبرات الاجتماعية لا تتساوى في قدرتها على الاستمرار، وهي تتفاوت أيضا في طبيعة تشكلها، وإحداث أثرها داخل الجماعة الاجتماعية. مما يعني أن الخبرة الاجتماعية ليست تحصيلا حاصلا بالضرورة، وأن الانتقال من كونها خبرة إلى كونها مرجعية ثقافية، لا يتحقق بالضرورة في كل الأحوال وبصورة تلقائية، إنما يمر هذا الانتقال بعمليات خطابية تمنح بعض العناصر قابلية وقدرة الاستمرار، في حين تحجبها عن عناصر أخرى، فتزول هذه العناصر بانتهاء السياق الذي جرت فيه. وهذا الانتقاء والحجب يمارسه المجتمع بالصورتين الواعية وغير الواعية، وبمقاصد مباشرة وغير مباشرة، وهذا ما يدعونا للقول إن الذاكرة الثقافية هي مسار انتقائي تتحدد فيه نتيجة ممارسة الانتقاء، العناصر القابلة للاستمرار وفقا للفاعلية الاجتماعية المكتسبة.

وقد ظهرت أدبيات مؤسِسة لدراسات الذاكرة الثقافية، مركزة على إبراز الأطر الاجتماعية التي تنتظم فيها هذه الذاكرة، ثم توسعت هذه الدراسات في تفسير آليات حفظها واستدعائها داخل الجماعات الثقافية، وأقصد بهذه الأدبيات بصورة محددة وأساسية؛ أعمال هالباكس، وبعده أسمان، ثم ريغني. وقد أسهمت هذه المقاربات في الكشف عن الطبيعة الاجتماعية والثقافية للذاكرة، منطلقة من افتراض أن العنصر الثقافي حاضر في الذاكرة، فوجهت تركيزها نحو تفسير استمراره وإعادة تداوله. ولكن، هل كل ما يُسجل في الذاكرة الثقافية يستمر حاضرا ويستمر تداوله الاجتماعي؟ أليس ثمة مرحلة يتحدد فيها ما العناصر الاجتماعية التي تكتسب قابلية الاستمرار، وأن تصبح مرجعية ثقافية؟ إن هذا السؤال لم تلتفت إليه الدراسات المؤسِسة بصورة واضحة وأساسية، لانشغالها بالذاكرة نفسها، وليس بكيفيات استعمال عناصر هذه الذاكرة. لذلك ترى هذه الورقة أن هذا السؤال يمكن معالجته في الدراسات اللسانية الاجتماعية، التي تركز على دراسة اللغة في الاستعمال، كاشفة عن الكيفيات الخطابية التي تعيد بناء المعنى الاجتماعي، وتكسبه قوة إضافية تمكنه أن يكون عنصرا فاعلا في الذاكرة الثقافية.

eISSN 3124-9396
Volume 2 , July 2026

3. من الخبرة الاجتماعية إلى الذاكرة الثقافية: مقاربة مفاهيمية

كيف تنشأ الذاكرة الثقافية؟ قبل أن نستعرض مقاربة حول ما أبرزته وطورته الأدبيات ذات الأثر فيما طرحته حول الذاكرة الثقافية، فإنه لا بد من الوقوف على مفهوم الثقافة أولا، الذي يقدم لنا تصورا للإجابة عن سؤال يتعلق بكيف تنشأ هذه الذاكرة. وقد قيل عن الثقافة أنها مفهوم بالغ التعقيد (Eagleton: 2023,p1)، بل إنها في الإنجليزية تعد ثاني أو ثالث كلمة من أكثر الكلمات تعقيدا. ومع هذا التعقيد يمكن الوقوف على أربعة معان رئيسة:

- مجموعة من الأعمال الفنية والفكرية.
- عملية تطور روحية وفكرية إنسانية.
- مجموعة القيم والعادات والمعتقدات والممارسات الرمزية التي يعيش بها الرجال والنساء في المجتمعات.
- أسلوب كامل للحياة.

يذكر كرانغ (كرانغ: 2005، ص14) أنه في نهاية الخمسينات جمع المؤلفون أكثر من 150 تعريفا مختلفا للثقافة قيد الاستعمال في الكتب الأكاديمية، والمبدأ الموجه له في عمله هو أن الثقافات هي مجموعة من المعتقدات أو القيم التي تعطي معنى لطرق الحياة، ويعاد إنتاجها من خلال أشكال مادية ورمزية. ويقف عند (طريقة الحياة) و(إعادة الإنتاج) ويبين أن الأول يحمل السؤال عن مدى قدرة الفرد على مر الزمن، ويطرح الثاني قضايا التغيير على مر الزمن. ويرى عماد عبدالغني أن تعريف غي روشيه للثقافة أكثر التعريفات شمولا وعمقا، وهو: الثقافة هي مجموعة من العناصر لها علاقة بطرق التفكير والشعور والفعل، وهي طرق صيغت تقريبا في قواعد واضحة اكتسبها وتعلمها وشارك فيها جمع من الأشخاص، تستخدم بصورة موضوعية ورمزية في آن معا، من أجل تكوين هؤلاء الأشخاص في جماعة خاصة ومميزة. وقد استعان هذا التعريف بصيغة دور كايم الشمولية (طرق التفكير والشعور والعمل) التي تقدم صيغة أوضح من صيغة (طريقة الحياة) (عماد: 2008، ص32).

فهل الذاكرة الثقافية هي الثقافة نفسها بما تحمله من مكونات تحدد هوية المجتمعات؟ لمحاولة الإجابة على هذا السؤال، يمكن أن نعرض المراحل التي بدأ منها مفهوم الذاكرة، وتشعب إلى مجموعة من المصطلحات التي يحيل كل منها إلى اتجاه مختلف عن الآخر في وجهات النظر.

إن الذاكرة شرط لا غنى عنه في الحياة الإنسانية الفاعلة، ومن ثم فهي جزء جوهري من الفكر الإنساني، منذ الأساطير الأولى حتى أكثر أشكال العلم العصبي المعاصر تقدما. وخلال القرن التاسع عشر أبرز علم كتابة التاريخ أهمية التمييز بين الذاكرة الذاتية والذاكرات الاجتماعية لتجمعات اجتماعية أوسع. وفي أواخر القرن نفسه انتقل سؤال الذاكرة إلى مركز الشعور الحديث، وتجلى لدى فلاسفة الذاكرة المحدثين الثلاثة؛ بروست، وفرويد، وهوسرل. ثم سعى تقليد مختلف في الحقبة نفسها إلى استكشاف مضامين الذاكرة الجمعية، ساخطا من ذاتية الإدراك التي تركز إلى حد كبير على الذاكرة الفردية، وأبرز الأعمال التي ظهرت ممثلة اتجاه هذا التقليد؛ أعمال برغسون، وكارل يونغ، وأكمل معالجة لها كانت لدى موريس هلباكس؛ فالذاكرة عنده توجد في المؤسسات الاجتماعية مثل الذاكرة الجمعية الدينية، وذاكرة العائلة الجمعية، وما إلى ذلك، وقد أكد هلباكس على أهمية تتابعها الزمني (بينيت: 2010، ص344-346).

وقد يكون من المناسب والمهم في هذه الورقة الوقوف على تعريف أسمان للذاكرة الثقافية لكون أبحاثه تعد مهمة ومؤثرة في هذا الإطار. يطرح أسمان (Assmann: 1995, p126-132) الذاكرة الثقافية في بحثه (الذاكرة الجماعية والهوية الثقافية) في سياق نقاشه لما طرحه نيتشه بشأن أهمية أن يجد البشر وسيلة للمحافظة على طبيعتهم عبر الزمن والأجيال، والحل الذي يراه لهذه الغاية هو الذاكرة الثقافية، التي عرفها بأنها مفهوم جماعي لجميع المعارف التي تُوجّه السلوك والخبرة في الإطار التفاعلي للمجتمع، والتي تستمر وتنتقل عبر الأجيال من خلال الممارسة المجتمعية المتكررة والتنشئة. إلا أن أسمان ذكر بأنه يعرف الذاكرة الثقافية من خلال تحديد ثنائي يميز فيه بين ما يسميه الذاكرة التواصلية أو الذاكرة اليومية، التي تفتقر حسب رأيه في معناها الضيق لاستخدام الخصائص الثقافية، والثاني يرتبط بالعلم الذي لا يمتلك خصائص الذاكرة فيما يتعلق بالصورة الذاتية للجماعة، وهذا ما طوره هالباكس مميزا بين الذاكرة والتاريخ، وأكد أسمان على أن ما يعنيه هو النوع الأول من هذا التحديد. وعليه، فإن مفهوم الذاكرة التواصلية لديه يشمل الأنماط التي تتضمنها الذاكرة الجماعية التي تقوم على التواصل اليومي. وتلك الأنماط جمعها هالباكس وحللها في إطار

eISSN 3124-9396
Volume 2 , July 2026

مفهوم الذاكرة الجماعية التي تشكل التاريخ الشفوي. والتواصل اليومي يتسم بدرجة عالية من تبادل الأدوار والبعد عن التخصص، وانخفاض التنظيم واستقرار الموضوع، فيمكن على سبيل المثال يحدث عادة أن يُنتقل في تبادل الأدوار بين قول نكتة، أو مشاركة ذكرى، أو نميمة، أو تجربة يصبح فيها الدور قائما على الاستماع. ويحدث هذا التنوع ضمن أنواع متعددة أيضا من الحيز المكاني؛ القطارات، غرف الانتظار، طاولة مشتركة، وهناك أيضا التبادلات داخل إطار الأسرة، وتنظم هذا التبادل قوانين . ويحدث خلال هذه التبادلات أن تشكل كل ذاكرة فردية نفسها من خلال التواصل مع الآخرين، وهؤلاء الآخرون هم في الواقع مجموعات تدرك وحدتها وخصوصيتها التي تشكل ماضيا مشتركا، تتكون من خلاله الذاكرة الجماعية، وهذه الممارسة اليومية للذاكرة الجماعية ينتج عنها ما أسماه الذاكرة التواصلية، ويتسم هذا النوع من الذاكرة بأفق زمني محدود لا يتجاوز ثمانين إلى مئة عام كحد أقصى؛ أي ثلاثة أو أربعة أجيال. وتتشكل الذاكرة الثقافية ضمن مسافة عن الحياة اليومية، وهذه المسافة تحدد أفقها الزمني الذي لا يسمح للنقاط الثابتة ضمنه بالتغير، وتتمثل هذه النقاط الثابتة في الأحداث المصيرية التي أنتجت مجموعة من النصوص والطقوس وآثار التجارب، التي تشكل التكوين الثقافي. ويحدد أسمان مفهومه للذاكرة الثقافية بأنها تقوم على ربط الأقطاب الثلاثة ببعضها، وهي: الذاكرة بوصفها الماضي المعاصر، والثقافة، والجماعة وهي المجتمع. وفي هذا الإطار يؤكد أسمان على خصائص الذاكرة الثقافية وهي:

- تحافظ الذاكرة الثقافية على مخزون المعرفة الذي تستمد منه المجموعة وعيا بوحدتها وخصوصيتها، الذي يجسد الهوية والعلاقة مع الجماعة، وهذا التجسيد يضع حدودا واضحة بين من ينتمي ومن لا ينتمي، وبين ما يخص المرء وما هو غريب عنه.
- للذاكرة الثقافية القدرة على إعادة البناء، فهي تعمل من خلال ربط المعرفة بالوضع الفعلي المعاصر، حيث يعيد المجتمع في كل عصر بناءه ضمن إطاره المرجعي الخاص.
- التكوين، حيث يعد تبلور المعنى بصفة متواصلة، والمعرفة المشتركة الجماعية، شرطا أساسيا لنقلها في التراث الثقافي للمجتمع.
- التنظيم، ويتعلق بالدعم المؤسسي للتواصل من جهة، وتخصص حاملي الذاكرة الثقافية من جهة أخرى.

- الالتزام، حيث إن الصورة الذاتية المعيارية لعلاقة الجماعة، تولد نظاما واضحا من القيم والتمايزات التي لها أهمية في تشكيل الإمداد الثقافي للمعرفة والرموز، فهناك منها ما هو مهم وغير مهم، ما هو مركزي وهامشي، ما هو محلي وغير محلي، وفقا لكيفية عملها في إنتاج هذه الصورة الذاتية وتمثيلها وإعادة إنتاجها. والطابع الملزم للمعرفة المحفوظة في الذاكرة الثقافية له جانبان: الجانب التكويني في وظائفه التعليمية والحضارية والإنسانية، والجانب المعياري في وظيفته المتمثلة في توفير قواعد السلوك.
- الانعكاسية، فالذاكرة الثقافية انعكاسية بثلاث طرق: انعكاسية للممارسة، حيث أنها تفسر الممارسة من خلال النصوص والطقوس. والثانية أنها ذاتية الانعكاس، حيث أنها تستمد الشرح والتقد والتفسير من ذاتها. والثالثة أنها تعكس صورتها الخاصة بقدر ما تعكس الصورة الذاتية للجماعة من خلال الانشغال بنظامها الاجتماعي.

وينطلق بينتزولد (Pentzold: 2023) مما طرحه أسمان في مناقشة لأفكاره ضمن بحثه (التذكر التواصلي: إعادة النظر في مفهوم أساسي للتذكر)، وما يفترضه أسمان من وجود تمييز ثنائي بين أنماط تكوين الذاكرة الثقافية والتواصلية. فالذاكرة الجماعية تنبض بالحياة من خلال التواصل. فهي تحدث كحوار حول ما يجب تذكره، أو حول كيفية تذكره، على سبيل المثال، ضمن نطاق الأسرة، أو بين الأجيال، أو من خلال التفاعل مع الرسائل الإعلامية. ويشير إلى أنه في الواقع، إذا فُهمت الذاكرة الجماعية ليس بوصفها مجموعة من الذكريات الفردية أو مخزون أفكار مصنوع، إنما بوصفها واقعا للماضي منتج ومُحافظ عليه اجتماعيا، فمن المنطقي أيضا النظر إلى أبسط وأسهل وسائل التعبير عن الذاكرة والحفاظ عليها، وهي الحديث، فالماضي ليس موجودا في الذاكرة فحسب، بل ينبغي التعبير عنه ليصبح ذاكرة. ومع أن الحديث يُعدّ وسيلة أساسية لتكوين الذاكرة الجماعية، إلا أن الذكريات لا تتشكل بالضرورة من خلال المحادثات المباشرة، فالتذكر أثناء التواصل، الذي هو في المقام الأول ممارسة وليس حالة من الذاكرة التواصلية، يشمل طرقا متنوعة لنقل الماضي؛ متضمنا جميع أنواع الإيماءات التعبيرية، والموارد السيميائية، وأشكال التمثيل الثقافي. وفي هذا الحيز المتنوع للتعبير، يُعاد تنشيط الماضي المتاح في ضوء الظروف المجتمعية الراهنة، والعلاقات الثقافية، وأنظمة المعرفة، وبالتالي يُصبح ذا معنى وأهمية في حاضر محدد. ويؤكد أن الإقرار بأن الذاكرة الجماعية شأن تواصلي بطبيعته يعني أنها عملية بطبيعتها، وهذا ما يركز عليه بينتزولد. ومن المبادئ الأساسية لدراسات الذاكرة

eISSN 3124-9396
Volume 2 , July 2026

الاجتماعية أن التذكر عملية يتحقق من خلالها إعادة بناء نسخ من الماضي مرتبطة زمنيا ومحددة مكانيا. ويشار في هذا السياق إلى أن الذاكرة الجماعية هي شيء أو أشياء كثيرة نقوم بفعلها، وليست شيئا أو أشياء كثيرة نمتلكها. وفي إطار ربط أسمان الذاكرة التواصلية بالذاكرة الثقافية، وتحديده الأفق الزمني للذاكرة التواصلية ضمن فترة زمنية تمتد من ثلاثة إلى أربعة أجيال، حيث يفسح تبادل التجارب المعيشية المباشرة المجال أمام النقل عبر الروايات الشفهية والسجلات المادية، يضيف بينتزولد إلى ذلك دراسات أجراها ليغوف وغورهان، حيث أشارت إلى وضع فترات تاريخية، يُعتقد أن وسائط إعلامية مُحددة قد صاغت خلالها الديناميكيات والممارسات الثقافية، بشكل مُتتابع. وفي مثل هذه المناهج طويلة الأمد، يُنظر إلى التذكر التواصلي حسب هافلوك على أنه سمة من سمات الثقافات الشفوية التي لم تكن تمتلك وسائل الكتابة والتسجيل والتخزين، مما يعني أن الذاكرة كانت تعتمد على أساليب بلاغية كالأناشيد النمطية والقصائد الموزونة. وفي هذا الصدد، يمكن القول إنه لا يمكن الفصل بدقة بين الذاكرة الثقافية والذاكرة التواصلية إلا في سياق نظري. أما في الممارسة الفعلية للذاكرة لدى الأفراد والجماعات الاجتماعية، فترتبط أشكالها وأساليبها ببعضها البعض. ويوجه بينتزولد اهتمامه نحو الجانب العملي للذاكرة التواصلية، مركزا على المفهوم الأساسي للذاكرة من خلال دراسة التعبير الروتيني عن الذكريات وانتشارها في سياقاتها المادية والرقمية. حيث يناقش مصطلح الذاكرة التواصلية، متناولا كيفية ممارسة الذاكرة التواصلية في البيئات الرقمية المتصلة بالشبكات، حيث تتلاشى الفروقات الصارمة بين الذاكرة التواصلية والذاكرة الثقافية. ويؤكد في هذا السياق أن الذاكرة التواصلية ليست نقيضا للذاكرة الثقافية. ويشير إلى أن هذا التقسيم الثنائي قد يخدم أغراضا تحليلية، ولكنه لا يساعد في فهم أشكال تكوين الذاكرة التعبيرية والتفاعلية. وهذا ما دعاه إلى اقتراح دراسة الممارسة غير الثابتة للذاكرة التواصلية، والتي تتغير بتغير السياقات الاجتماعية والبيئات الإعلامية، من خلال التركيز على التذكر التواصلي، دون وضع ترتيب هرمي للعلاقة بين الذاكرة الثقافية والذاكرة التواصلية.

4. التشكيل الخطابي وإنتاج العناصر الفاعلة في الذاكرة الثقافية:

كيف تتشكل الخطابات داخل الذاكرة الثقافية، وكيف يعاد تنظيم الذاكرة الثقافية داخل هذه الخطابات؟ انطلاقا من هذا السؤال، وانطلاقا أيضا من السؤال الذي لم تركز عليه أدبيات الذاكرة

الثقافية، والمطروح في هذه الورقة حول الخبرة الاجتماعية وحيثيات وكيفيات تحولها إلى مرجعية ثقافية، وانطلاقا أيضا من فرضية هذا الورقة بشأن أن الخبرة الاجتماعية لا تتحول تلقائيا إلى اتصافها بالمرجعية والرسوخ الثقافي، فإننا نقف هنا على محاولة معالجة هذ السؤال.

تمثل الخبرة الاجتماعية المادة الأولية والأساسية التي تتشكل منها المعارف والقيم والرموز الثقافية، إلا أنها لا تنتقل إلى الحيز الثقافي بهذه الصورة الأولية، حيث إن مكونات الذاكرة الثقافية الفاعلة ليست مجموعة من الأحداث والسرديات، إنما هي معان اجتماعية أُعيد بناؤها داخل الخطاب بتنوع مستوياته وأنماطه. وعليه، فإن الخطاب لا ينقل الخبرة ويعبر عنها فحسب، إنما يؤدي وظيفة أهم وهي تشكيل هذه الخبرة تشكيلا جديدا، من خلال إعادة تنظيم العناصر داخل المنظومة الثقافية، أو إبراز/ انتقاء مجموعة منها، أو تهميش/ حجب مجموعة أخرى. وفي كل ذلك، يُدخِل الخطاب هذه العناصر من خلال هذه الوظيفة، في أطر دلالية تكسبها وظيفتها الثقافية التي تتضمن تمنحها قابلية الاستمرار. ووفقا لذلك، فإن التشكيل الخطابي يعد عملية تنتقل فيها الخبرة الاجتماعية من مستوى كونها حدثا اجتماعيا، إلى مستوى تصبح فيه مرجعية ثقافية مستقرة.

وتقترح هذه الورقة مفهوم التشكيل الخطابي ليكون مفهوما وظيفيا، يفسر المرحلة السابقة لاستقرار عنصر الخبرة الاجتماعية داخل الذاكرة الثقافية، يضيف لما طرحته دراسات الذاكرة الثقافية. وفي هذا السياق، لا بد من القول إن العلاقة بين الدراسات اللسانية والخطابية الاجتماعية ودراسات الذاكرة الثقافية الاجتماعية والأنثروبولوجية، هي علاقة تكاملية؛ حيث توجه دراسات الذاكرة الثقافية اهتمامها نحو كيفية (حفظ واستدعاء) العناصر الثقافية، في حين توجه الدراسات اللسانية الاجتماعية اهتمامها نحو (إنتاج المعنى وإعادة تنظيمه) للعناصر الثقافية داخل الخطاب. وتركز هذه الورقة على التشكيل الخطابي لكون فرضيتها تقوم على أنه هو العملية التي تُكسب خبرات اجتماعية معينة، قابلية الاستمرار لتصبح عناصر فاعلة مستقرة في الذاكرة الثقافية. ويتحقق التشكيل الخطابي من خلال كيفيات متدرجة، يحدث بتحققها إعادة بناء الخبرة الاجتماعية لتكتسب قابليتها الفاعلة ثقافيا. وسنقف في هذا السياق عند كيفيتين هما الأكثر وضوحا في الممارسة الاجتماعية لعملية التشكيل الخطابي؛ (الاختيار) و(إعادة التأطير)، حيث يحقق

eISSN 3124-9396
Volume 2 , July 2026

الاختيار وظيفة تنظيم العناصر من خلال إكسابها صفة جديدة، أو إبراز عناصر أو تهميش أخرى. أما إعادة التأطير فيحقق وظيفة إعادة البناء الدلالي والوظيفي في سياقات الاستعمال التداولية والاجتماعية.

وفي هذا الإطار، يشير الخطاب إلى أحداث ترتبط من الناحية الزمنية بفعل الكلام، ويُبرز مفهوم الخطاب عند بنفسنت الموقع والعلاقات الاجتماعية للنطق؛ أي موقعي المتكلم والمتلقي، والسياق الباني الذي يحدث فيه الكلام بينهما. فلا يمكن تحليل الخطاب دون النظر في تلك القيود السياقية التي صاحبت إنتاج النص. ويعرف فوكو التشكيل الخطابي بأنه نمط من أنماط تنظيم المعرفة في علاقتها بالمؤسسات المادية، ومن ثم فهو ليس مفهوما لغويا في الأساس، إنما له علاقة بممارسات السلطة وصورها التي غالبا ما تتجذر في تنظيمات يمكنها أن تهيمن وتُبنى وفقا لمعارف منهجية متميزة. فكل خطاب يبني إمكان أن تطغى بعض الحقائق، وإمكان أن تكون حقائق أخرى دون فاعلية أو إقرار من المجتمع، وهذا ما ينتج عنه تقوية بنى السلطة الاستطرادية على حد وصف فوكو، وإزاحة بنى أخرى، على سبيل المثال تقوية صوت الطبيب، وإزاحة أصوات المرضى. فتشكيلات فوكو الخطابية متباينة، ولا تتكون اللغة في الاستعمال فحسب، بل أيضا من ممارسات مادية وبنى تحدد كيف تتكرر عبر ميادين اجتماعية مختلفة، ونتائجها، والمواقف الكلامية التي تتيحها، والموضوعات والحقائق التي تبعثها وتضفي عليها بعض الواقعية (بينيت: 2010، ص323-325).

4. 1. كيفيات التشكيل الخطابي:

4. 1. 1. الاختيار:

سبقت الإشارة إلى أن التشكيل الخطابي يتحقق من خلال كيفيات متدرجة، ويأتي الاختيار كيفية أولى في هذا التدرج. فالاختيار يتعامل مع عناصر متنوعة تقدمها الخبرة الاجتماعية ضمن الحيز الثقافي، والممارسة الاجتماعية في كيفية الاختيار تُعمِل مجموعة من الأدوات متمثلة في التفكير والاتصال والانتقاء. وفي هذا السياق، يمكن القول إنه كلما صارت الثقافة أكثر تعقيدا، ازدادت الحاجة إلى الاتصال، لذلك فإن القدرة على التفكير الرمزي والمجرد هو ما تحتاج إليه اللغة. فاللغة والقدرة على الاتصال بها تعتبران شرطا أساسيا وضروريا لأي مجتمع إنساني، ولا يمكن تصور ثقافة بدونه. فعن طريقه تمكن الإنسان من إبداع المعرفة وتكوين ما نسميه بالسلوك الثقافي. واستخدام اللغة لا يعني قدرة الإنسان على الاستجابة إلى الرموز فقط،

بل يعني أيضا قدرته على ابتكارها. فالرمز هو الوحدة الأساسية للثقافة، والعالم الثقافي الذي يدركه الإنسان هو عالم رمزي يعبر عنه بالرموز، ويصبح من خلالها قادرا على ابتكار المعاني وإكساب الطبيعة والبيئة ومكوناتها خصائص جديدة يمكن نقلها من جيل إلى جيل، على أساس من التمييز والاختيار والتنبؤ. فاللغة إذن أهم عنصر في بناء الإرث البشري الاجتماعي، وبفضلها تمكن الناس من أن ينقلوا لبعضهم البعض فكرة واضحة عن أوضاع ليست موجودة، وعن السلوك المناسب لها، وبها أمكن نقل المعرفة التي يمتلكها كل جيل إلى الجيل الذي يليه، فهي جزء لا يتجزأ من الثقافة (عماد: 2008، ص39-40).

إن نقل فكرة واضحة عن أوضاع ليست موجودة، هو ما يُمارس في عملية التشكيل الخطابي، بدءا بالاختيار بوصفه كيفية أولى في هذا المسار. والاختيار هنا موجه نحو العناصر التي يُراد إكسابها قوة الحضور، ومنحها بروزا داخل المنظومة الثقافية. وهذا ليس بالضرورة أن يكون قصدا واعيا مخططا له، إلا أنه في حالات يكون كذلك، وغالبا ما تكون هذه الحالات مرتبطة بسياق تحقيق الأهداف الاستراتيجية للسلطة المؤسسية. والخبرة الاجتماعية بطبيعة الحال ثرية بالعناصر المكونة لها من أحداث وقيم ورموز وممارسات، لكن الخطاب في ممارساته الاجتماعية لا يستقبلها أو يتعامل معها بالقيمة نفسها، إنما ينتقي منها ما يراه قادرا على خدمة هدف اجتماعي، أو أداء وظيفة اجتماعية وثقافية في سياق معين. وعملية الاختيار من خلال ما تجريه من انتقاء عناصر وإقصاء أخرى، هي في الواقع تحقق وظيفة أعمق من تلك الإجراءات التي هي أدوات لتحقيق الوظيفة، وتلك الوظيفة هي إعادة تنظيم عناصر الخبرة الاجتماعية، ليتحدد ما الذي سيدخل ضمن مسار التشكيل الخطابي من مجموعة العناصر المتنوعة للخبرة الاجتماعية، وفي الوقت نفسه ما الذي قرر الاختيار ممارسة إقصائه أو حجبه من هذه العناصر.

في إطار التفاعل الذي لا حياة اجتماعية خالية منه، تتعدد أشكاله فيكون مباشرا أو رمزيا. ويكتسب الرمز قيمته ومعناه ممن يستخدمونه، فالمعاني المرتبطة بالألوان على سبيل المثال تختلف من مجتمع إلى آخر، فالأسود في مجتمعات دال على الحزن، في حين يكون الأبيض هو الدال على الحزن في مجتمعات أخرى. فالتواصل الرمزي سواء كان بالكلام أو بغيره، يشكل قاعدة جميع السلوك الاجتماعي الحقيقي. وهذا يقود إلى مسألة التحليل الاجتماعي للأنساق الرمزية، وهو أمر يثير مسائل أساسية منها ما يتحدد موضوعه بدراسة الفاعلين الاجتماعيين والأعمال الاجتماعية، ومنها ما يتحدد بالحقل الذي من خلاله تتموضع

eISSN 3124-9396
Volume 2 , July 2026

خيارات الفاعلين الثقافية وتمثلاتهم ومعارفهم. فكيف يحدد الإنسان الاختيار؟ إن الإنسان الاجتماعي يقوم أحيانا بفعل ما لا يحلو له، بل ما تمليه عليه العادة، والقيم التي استبطنها ومختلف المعايير والشروط الخلقية والإدراكية والحركية. إلا أن شروط الاختيار يمكن أن تتحول بعمل الفاعل الاجتماعي ذاته الذي يعدل سلوك من في محيطه عن طريق سلوك جديد، وهذا يعني أن المعارف والمعلومات التي يمتلكها هذا الفاعل عن وضعيته تشكل بعدا مستمرا لخياراته، والنظر في هذه الوضعية هو الذي يبين كيف تتم الاختيارات، وإلى أي نسق رمزي يستند الاختيار سواء أكان معتقدا أم قيمة اجتماعية لها صفة شرعية أو صفة انحرافية، أو تقويما أو أيديولوجيا. ففي كل اختيار وفي كل قرار يراهن الفاعل الاجتماعي على أنماط من الأحكام تخلط بين أحكام الواقع وأحكام القيمة، ولذلك فإنه من المهم على مستوى تحليل التفاعلات أن نرى كيف سيكون لمعتقد معين منفعة اجتماعية كبرى، ووظيفة رمزية تسهم في مسار التفاعل وتجديده (عماد: 2008، ص129-130).

والاختيار بوصفه كيفية إجرائية ضمن عملية التشكيل الخطابي، لا يتم عشوائيا، ولا يتحقق بهدف حضور هذا العنصر فقط، إنما يتحقق في ضوء الوظيفة الاجتماعية التي تحتاج لتأديتها إدخال هذه العناصر أو إبرازها. ولتوضيح هذا الأمر، فإن الممارسات الاجتماعية على المستوى الخطابي تختار قيمة دون غيرها، أو حدثا تاريخيا دون غيره، لتكسبه رمزية اجتماعية خاصة، مما يضفي عليه معنى جديدا بالنظر إلى السياق الذي وُضع فيه. وهنا تظهر قدرة هذه العناصر ووظيفتها في بناء الهوية وتوجيه الفعل الاجتماعي وتفسير واقعه. وبهذا فإن كيفية الاختيار تنتقل بها عناصر الخبرة الاجتماعية من عناصر ذات صلة بالماضي وخبرة سابقة تطرح إمكانات كامنة، إلى مستوى تخرج فيه الإمكانات الكامنة ليُعاد تنظيمها دلاليا، تمهيدا لإعادة تأطيرها وتشكيلها.

ويمكن في إطار كيفية الاختيار أن نعرض ما يراه ريغني (Rigney: 2005,p17) في إطار نقاشه لمفاهيم الذاكرة الثقافية، والتي يتطرق فيها إلى ما يمكن لهذه الورقة أن تتفق معه ويتسق مع طرحها. فهو يرى أن التذكر لا يبدأ من فيض التجربة، بل من غياب اللحظة أو الفترة الزمنية المراد استحضارها أو من ماضيها. ويقول في هذا السياق أن مصطلح الذاكرة أقل ملاءمة من مصطلحي التذكر أو الاسترجاع، إذ يوحي الأخير بنشاط

أو أداء يحدث في اللحظة الراهنة لمن يسترجعون الذكريات، ويذكر أن الدراسات النفسية للذاكرة قد أوضحت هذا الأمر جليا، في حين لم تبادر دراسات الذاكرة الجماعية في تبنيه. وسواء أكان التذكر شأنًا فرديا أم جماعيا، فهو ليس مجرد ذكريات ثابتة يمكن استرجاعها كما هو الأمر في المقتنيات المادية، أو يمكن أن تضيع أثناء النقل، بل هو علاقة نشطة ومتغيرة باستمرار مع الماضي، حيث يتغير الماضي بأثر رجعي؛ أي أن معناه يتغير. في الواقع، قد يكون مصطلح الاسترجاع أفضل من التذكر أو الذاكرة، لأنه يؤكد على حقيقة أن التذكر ينطوي على التغلب على النسيان/ الفقدان، وأن النسيان يسبق التذكر وليس العكس. سواء أكان مصطلح التذكر أو الاسترجاع هو الأنسب، فإن جوهر الأمر يكمن في أن الذكريات نادرة دائما مقارنة بكل ما كان من الممكن نظريا تذكره، ولكنه الآن منسي. ويشير ريغني إلى أن هذا واضح جلي عند الحديث عن الذكريات الفردية، ولكنه ينطبق أيضا، مع بعض التعديلات، على الذاكرة الثقافية، لا سيما عند الأخذ في الاعتبار تمييز أسمان بين الذاكرة الأرشيفية والذاكرة العاملة، فالذاكرة الأرشيفية، على حد وصف أسمان، هي مجرد شكل كامن من الذاكرة، إذ تُشكل مخزنا افتراضيا للمعلومات حول الماضي، قد يُستخدم أو لا يُستخدم مصدرا للتذكر، وهذه الذاكرة الأرشيفية هي في حد ذاتها انتقاء لكل تلك الأشياء التي نُسيت نهائيا ولم يعد بالإمكان استرجاعها. لكن التخزين في أرشيف، سواء كان فعليا أو افتراضيا، لا يعني بالضرورة تذكره بوصفه جزءا من الذاكرة العاملة، فالعديد من الذكريات المحتملة تبقى غير ملحوظة وغير مسترجعة في الأرشيف. (أو قد تُتذكر بعض الأشياء دون وجود أساس لها في الأرشيف). وكما يوحي الاسم، فإن الذاكرة العاملة هي نتاج كل تلك الأفعال الانتقائية للتذكر التي تُمارس فعليا في المجتمع، والتي تُشكل مجتمعة إطارا مرجعيا مشتركا لأفراده. وبالتالي، يمكن وصف الذاكرة الثقافية بأنها ذاكرة عاملة يمارسها الأفراد والجماعات باستمرار أثناء استذكارهم للماضي بشكل انتقائي عبر وسائل إعلامية مختلفة، وانخراطهم في أشكال متنوعة من الأنشطة التذكارية، من السرد والقراءة إلى حضور الاحتفالات التذكارية أو القيام برحلات الحج. وفي فعل التذكر العلني نفسه، نختار بوعي أو بغير وعي بين كل ما قيل، تلك الأشياء التي لها صلة بالحاضر بشكل أو بآخر. فالاستدعاء الثقافي للماضي محكوم بنظام من الأهمية يعطي الأولوية لجوانب محددة من الماضي ويُهمش أو ربما ينسى جوانب أخرى.

eISSN 3124-9396
Volume 2 , July 2026

4. 1. 2. إعادة التأطير:

تأتي إعادة التأطير مرحلة ثانية في تدرج التشكيل الخطابي بعد الاختيار، فالاختيار يحدد العناصر التي تدخل المسار، وإعادة التأطير تحدد الكيفية التي يعاد بها بناء المعنى والوظيفة لهذه العناصر داخل الاستعمال الاجتماعي. ونشير في هذا السياق إلى أن إعادة البناء لا تعني هدم المعنى السابق أو إلغاءه. فالمعنى في استعمال ماض، كان يخضع لتأطير تحكمه الظروف السياقية المصاحبة له آنذاك والوظيفة الاجتماعية المرادة التي تخدم أهداف المجتمع المؤطِر في ذاك الزمن. وإعادة التأطير هي تغيير وتعديل في كيفية بناء المعنى، لتستدعي القدر الذي تحتاجه من التأطير السابق، وتبني عليه تأطيرا جديدا يتسق مع معطيات الحاضر، ويخدم الوظيفة الاجتماعية التي تطلبها سياقاته. فالخبرة الاجتماعية إذن، لا تحتفظ بالدلالة نفسها في كل استدعاء، إنما تخضع لإعادة تنظيم دلالي يجعلها أكثر اتصالا بالسياقات التي تُستعمل فيها. وقد يذكرنا هذا بوجهة نظر هابرماس (دواجي: 2010، ص299) التي يرى فيها أن الرابطة الاجتماعية لا يمكنها أن تتحقق من خلال التقاليد أو القيم المشتركة، ولا حتى من خلال تلك اليد الخفية للإنتاج الآلي للمنافع العامة المتولدة عن المنافع الشخصية، إنما تتحقق هذه الرابطة من خلال قوة وحيدة، تتمثل في تلك الرابطة التي تلازم التغير الدال ذاته.

وعليه، لا بد من القول إن إعادة التأطير ليست استبدال معنى بآخر، إنما هي إعادة بناء العلاقة بين العنصر الثقافي وسياق استعماله، مما يكسبه وظيفة سياقية اجتماعية جديدة، دون أن يفقد صلته بالخبرة الاجتماعية الأصلية. وهذا ما يدعونا للقول بأن إعادة التأطير هي كيفية وصل لا قطع، فهي كيفية تحدد الصورة التي يبقى بها الماضي، ولا تسعى على الإطلاق إلى إجراء قطيعة كلية معه. وهذا يجعلنا نستنتج كيف يكون لبعض العناصر الثقافية القدرة على الاستمرار عبر الزمن ومع تغير السياقات الاجتماعية، فهي لا تحقق استمراريتها بالصورة نفسها، إنما بإعادة توظيفها وفقا للغاية التي يطلبها سياق الحاضر بكل أشكاله. إن إعادة التأطير بوصفها الكيفية الثانية في مسار التشكيل الخطابي للعناصر الثقافية، هي التي تمنح الحياة لهذه العناصر المختارة، وليست هذه الحياة ناتجة عن استدعائها فحسب، إنما أساس الحياة يكمن في إعادة توظيف وتفسير هذه العناصر ضمن معاني ووظائف اجتماعية جديدة، وفي هذه الحال يمكن وصف الذاكرة

الثقافية بأنها ذاكرة نشطة وديناميكية. وهنا يمكن القول إن الذاكرة "تؤدي وظيفة تاريخية تريد استعادة الماضي التاريخي، وتؤدي وظيفة قانونية تسعى إلى استحضار أخطاء الماضي في محاكم القانون، وتؤدي وظيفة علاجية ترمي إلى تخفيف آلام من عانوا من الماضي في الحاضر" (بينيت: 2010، ص348). بل وتؤدي وظائف أوسع وأعمق من ذلك، وجميع هذه الوظائف تتحقق من خلال اللغة. فالذاكرة الثقافية الفاعلة، هي دليل المجتمعات التي تدرك أن قوتها الثقافية تكمن في كيفية التعبير عنها.

وخلاصة القول، إن عملية التشكيل الخطابي بكيفيته (الاختيار وإعادة التأطير)، ينتج عنها تنظيم الخبرة الاجتماعية من الماضي للحاضر إلى المستقبل، ويترتب على هذا التنظيم تفعيل هذه الخبرة من خلال إعادة بناء عناصرها التي تبين أنها تمتلك قابلية الاستمرار؛ أي قدرتها على أداء وظائف ثقافية داخل المجتمع والاستعمال الفعلي من جهة، وحاجة السياقات المجتمعية أيضا لهذه الوظائف من جهة أخرى. فالعناصر الثقافية لا تكتسب فاعليتها الاجتماعية الثقافية عند إعادة تشكيلها فقط، إنما باستعمالها داخل السياقات التداولية والاجتماعية، وحاجة هذه السياقات لها، وهذا ما يجعل منها عناصر فاعلة في الذاكرة الثقافية.

5. الاستعمال في السياقات الاجتماعية مجالا للفاعلية الثقافية:

ينطلق هذا المحور من سؤال يقول: كيف تتحقق الفاعلية الاجتماعية فتجعل عناصر الذاكرة الثقافية موارد ثقافية؟ أشرنا في المحور السابق إلى أن التشكيل الخطابي من شأنه أن ينظم الخبرة الاجتماعية ويفعلها من خلال إعادة بناء عناصرها، لإكسابها قابلية أداء وظائف ثقافية داخل المجتمع. فهل يمكن القول إن هذه القابلية هي نهاية المسار؟ إن العناصر التي تدخل ضمن الاختيار وإعادة التأطير لا تكتسب فاعليتها الثقافية مباشرة، إنما تكتسبها عند دخولها مجال الاستعمال الفعلي في السياقات الاجتماعية المختلفة. وهذا الدخول يعد بمثابة اختبار لقدرتها، وهذا ما يدعونا للقول بأن عملية التشكيل الخطابي لا ينتهي مسارها عند إعادة التأطير، إنما ينتقل هذا المسار من مرحلة تقول على كيفيتي التشكيل الخطابي، إلى مجال اختبار التشكيل وهو الاستعمال الفعلي ضمن سياقات الواقع الاجتماعي. وفي هذه السياقات تُختبر قدرة العناصر الثقافية على إنتاج المعنى ضمن سياقه الجديد، وتوجيه الفهم والتلقي، والتأثير، وتفسير الواقع، وإعادة بناء المرجعيات المشتركة. وفي هذا المجال تُحدد العناصر القادرة على الاستمرار بوصفها مكونات فاعلة في الذاكرة الثقافية.

eISSN 3124-9396
Volume 2 , July 2026

يضع بورديو في اعتباره عند الحديث عن اللغة، الظروف الاجتماعية التي تسمح بوجودها، وتشكل اللغة نفسها مجموعة من الممارسات التي تتضمن ليس فقط نظاما من الكلمات والقواعد اللغوية، إنما تشكل أيضا كفاحا مخفيا يخص القوة الرمزية لطريقة معينة في التداول، ترافقها أنظمة تصنيف معينة، وفي هذا يشدد بورديو دائما على أهمية اللغة ليس كنظام مستقل، بل كنظام تحدده العمليات الاجتماعية السياسية، ولذلك فإنه يركز على المعنى الاجتماعي للأشكال المختلفة والتغيرات النوعية (دورانتي: 2013، ص90). إن ما يربط الأفراد معا في مجتمع ثقافي هو القوة المركزية لبنية ترابطية تُنظم مجموعة مدروسة من الفكر والمعرفة، والمعتقدات، ومفاهيم الذات؛ أي رؤية للعالم متجذرة في مجموعة من القواعد والقيم الاجتماعية، فضلا عن الذاكرة المشتركة لماض مشترك وتجارب متشابهة. تتمثل الوظيفة الأساسية في ضمان شعور ثقافي بالانتماء، على عكس الانتماء القائم على القرابة، أو العرق، أو الملكية المادية، أو التبعية الاقتصادية. إذن، المسألة المطروحة هي شعور بالانتماء يربط الفرد بثقافة معينة، وفي الوقت نفسه يربط هذه الثقافة بعقل الفرد (Brockmeier: 2002, p18).

ويذكر دورانتي أن النظام اللغوي يتداخل مع كل الأنظمة الموجودة في الثقافة، واللغة تصل بين الناس في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم، فتصبح هي نفسها هذه الأزمنة. وفي هذا السياق يقال إن كل ما يتبقى لنا من الماضي هو اللغة؛ في النصوص والأعمال والحكايات والتسميات، وفي الروائح والأصوات، وحتى في طريقة تحريكنا لأجسادنا. ويكمل دورانتي ويقول إذا كانت اللغة حدثا كما يقول مالينوفيسكي، وإذا كانت طرق الكلام تعطينا طرق تموضع الكيان في العالم كما يقول سابيير وورف، فالتواصل اللغوي هو جزء من الواقع الذي يفترض أن يمثله ويفسره ويستحضره. وإذا كانت اللغة حسب فيتغنشتاين شكلا من الحياة، فإن امتلاك لغة ليس أداة لتمثيل الأحداث بطرق معينة فحسب، بل هو أيضا القدرة على التفاعل مع هذه الأحداث، والتأثير فيها والتأثر بها. ومن الثقافة إلى المجتمع فيما يطرحه دورانتي، فكما قال ليفي ستراوس من يتكلم عن اللغة يتكلم عن المجتمع، فالحكم والعمل والعائلة والمؤسسات المكونة للمجتمع تعتمد على اللغة لإعادة إنتاج هذه المؤسسات في الزمان والمكان. وبالنظر إلى كثير مما يفعله الناس هو متعلق بمسألة المتابعة؛ أي بحياتنا المحدودة، وبالإنتاج المادي والرمزي المتجدد لهويتنا الخاصة ووضعنا الاجتماعي. ويذكر دورانتي في هذا السياق إن تجاهل اللغة هو تجاهل لوجود الإنسان

(دورانتي: 2013، ص542-545). وقد اتسمت الخطابات المهيمنة والسائدة عن الهوية بكونها جوهرية، أي أن الهوية تعبير عن جوهر ما، مما يعني أن الهوية سمة طبيعية أو أبدية تصدر عن تطابق الذات والفرد أو الكيان الجمعي المكتفي ذاتيا. غير أن هناك اتجاه أكثر حداثة يتبنى موقفا مضادا للجوهرية، ويؤكد على وضعية البناء الاجتماعي لجميع الهويات، حيث تتأسس الهويات في سياقات اجتماعية وتاريخية محددة، وتتجاوب مع الأحوال المتغيرة، ومن ثم فهي عرضة للتغير وإعادة التصوير باستمرار. وهذا الاتجاه لا ينظر إلى الهويات على أنها مكتفية ذاتيا، بل هي في الواقع تتأسس من خلال لعبة الفروق، وتتشكل من وفي العلاقات المتغيرة بهويات أخرى. وعليه، تستمد الهوية تمايزها مما ليس هي، ومما تستبعده، ومن موقعها في حقل الفروق والاختلافات (بينيت: 2010، ص703).

فإذن، الفاعلية الثقافية للعناصر الثقافية لا تقدمها هذه الورقة من زاوية الانتشار والشيوع، ولا ترى أن دليلها الذي يقاس عليه هو كثرة الاستعمال، إنما تقدمها بالنظر إلى قيمة الوظائف النوعية التي يمكن للعنصر تأديتها داخل السياقات الاجتماعية بتنوعها وتغيرها. أي؛ الفاعلية في تشكيل الوعي والممارسة. وعليه، فالعلاقة بين الذاكرة الثقافية والاستعمال ليست علاقة حفظ واسترجاع كما تذهب بعض الدراسات التي تناولت الذاكرة الثقافية، إنما هي علاقة إنتاج متجدد للمعنى، يعاد فيها تنشيط العناصر الفاعلة كلما استدعت السياقات الاجتماعية ذلك وطلبته. وهذا مبرر قولنا إن الفاعلية الثقافية التي تُختبر في مجال الاستعمال هي ما يفسر استمرار بعض العناصر دون غيرها، فليست كل القيم والرموز والسرديات والممارسات تدوم لمجرد كونها قادمة من مستودع الماضي، فكم من عناصر كانت في أزمنة مضت تمتلك قوة في إطارها الثقافي، وتمكنا في جانبها الخطابي والتعبيري، إلا أنها بقيت حبيسة ذاك الإطار، ولم تمتلك قدرة الانتقال منه.

إن المجتمعات في عودتها للذاكرة الثقافية، لا تعود إليها استدعاء للماضي ذاته، إنما هي تستدعي منها عناصرها الفاعلة التي يمكن أن تستعين بها في تفسير حاضرها واكتساب القدرة على التفاعل البناء معه. ومن المهم القول إن هذه العناصر الفاعلة التي أثبتت قدرتها في اختبار الاستعمال وأصبحت مرجعية ثقافية تبني الذاكرة الثقافية للمجتمع، لا تؤدي وظائفها الخطابية الاجتماعية لكونها قادمة من الماضي أو لكونها

eISSN 3124-9396
Volume 2 , July 2026

مرتبطة بالموروثات، فليس هذا هو سر قوتها، إنما لكونها أصبحت موردا دلاليا ثقافيا حيا، يستثمرها الخطاب لغاية إنتاج معان جديدة تخدم تحولات المجتمع.

وفي هذا السياق، نذكر أن نماذج المعاني الثقافية انتقلت من خلال الجماعة واستقرت لدى كل فرد عن طريق التفاعل الاجتماعي، وكل نموذج ظهر بسبب هذا التفاعل بين الجماعات البشرية. وقد حفظت الجماعات البشرية هذه النماذج والتوقعات ونقلتها من جيل إلى آخر، وهي عملية مستمرة. ويمكن اعتبار المجتمعات نفسها حصيلة ثقافة، إلا أن لكل من المجتمع والثقافة دلالة مختلفة؛ فإذا كان المجتمع هو مجموعة منظمة من الأفراد يتعايشون بطريقة حياتية معينة، فإن الثقافة تصبح تلك الطريقة الحياتية المعينة. وإذا كان المجتمع هو مجموعة من العلاقات الاجتماعية، فإن الثقافة تكون بهذا المعنى محصول هذه العلاقات (عماد: 2008، ص41-42).

وهنا نعود إلى ما ذكرناه في بداية هذه الورقة، هل يُنظر للذاكرة الثقافية على أنها معطى ثابت؟ ونقول، فيما يتعلق بكونها (معطى)، فإن هذه الورقة تذهب إلى أن الذاكرة الثقافية نتاج عمليات خطابية اجتماعية مستمرة، وهي تحمل عناصر فاعلة، أما غير ذلك من العناصر التي يمكن وصفها بأنها عناصر كامنة، فإنها تبقى ضمن الخبرة الاجتماعية لكونها لم تكتسب القدرة على الدخول في سياقات الاستعمال، ولا استدعتها وظائفها. أما ما يتعلق بصفة (ثابت)، فإن هذه الورقة ترى أن الذاكرة الثقافية بعناصرها الفاعلة تتصف بالاستقرار وليس الثبات، فالثبات هو الجمود، في حين نرى أن الاستقرار هو الاستجابة الديناميكية لدورة حياة المعنى وإمكاناته، وهو الفاعلية الاجتماعية.

وأخيرا، إن التشكيل الخطابي ليس مجرد عملية تطرح وسائل التعبير عن الثقافة، إنما نطرحه كأحد الشروط اللسانية لاستدامة فاعلية الذاكرة الثقافية.

المراجع:

Assmann, J. (1995). Collective memory and cultural identity (J. Czaplica, Trans.). *New German Critique, 65*, 125–133.

Brockmeier, J. (2002). Remembering and forgetting: Narrative as cultural memory. *Culture & Psychology, 8*(1), 15–43.

Eagleton, T. (2023). *Culture*. Yale University Press.

Pentzold, C., Lohmeier, C., & Birkner, T. (2023). Communicative remembering: Revisiting a basic mnemonic concept. *Memory, Mind & Media, 2*, e9, 1–15. https://doi.org/10.1017/mem.2023.7

Rigney, A. (2005). Plenitude, scarcity and circulation of cultural memory. *Journal of European Studies, 35*(1), 11–28.

بينيت، ط.، غروسبيرغ، ل.، & موريس، م. (2010). *مفاتيح اصطلاحية جديدة– معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع* (سعيد الغانمي، مترجم). المنظمة العربية للترجمة/ مركز دراسات الوحدة العربية.

دواجي، غ. (2010). *الفاعلية التواصلية عند هابرماس*. في م. أحمد (إعداد وتقديم)، *اللغة والمعنى– مقاربات في فلسفة اللغة*. منشورات الاختلاف؛ الدار العربية للعلوم ناشرون.

دورانتي، أ. (2013). *الأنثربولوجيا الألسنية* (فرانك درويش، مترجم). المنظمة العربية للترجمة/ مركز دراسات الوحدة العربية.

عماد، ع. (2008). *سوسيولوجيا الثقافة– المفاهيم والإشكاليات، من الحداثة إلى العولمة* (ط. 2). مركز دراسات الوحدة العربية.

كرانغ، م. (2005). *الجغرافيا الثقافية– أهمية الجغرافيا في تفسير الظواهر الإنسانية* (سعيد منتاق، مترجم). عالم المعرفة، (317).